علاقتك بالسُّنَّة

السُّنَّة هي المصدر الثاني للتشريع، وبغيرها لا نفهم الإسلام، لأنها المفسرة والشارحة والمبينة للقرآن الكريم، وهي أقوال الرسول (ﷺ) وأفعاله وإقراراته. والقرآن الكريم كدستور لهذه الأمة لا بد أن يكون مجملاً، موجزاً الإيجاز الذي لا يُخلّ بالهدف منه، وفي الوقت نفسه يسهل حفظه وحمله. وقد كان كذلك، فجاءت السنة تشرح هذا القرآن، وتبيّن أحكامه، وتوضح مقاصده فكانت السنة سيرة النبي في حياته بعد الرسالة والتي امتدت ثلاثاً وعشرين سنة، فكانت السنة في هذه الكتب المطولة المعروفة بكتب الحديث وعلى رأسها صحيح البخاري وصحيح مسلم رحمهما الله.

وتبلغ السنة أضعاف القرآن مرات ومرات، لأنها ـ كما

قلت ـ مفسرة وشارحة له، ومبينة لأحكامه، ومفصلة لمجمله، وقد قال رسول الله (ﷺ): «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»[1].

وهناك فئة من المضللين يحاولون هدم الإسلام بإنكار حجية السنة حيث يزعمون أن في أحاديث الرسول (ﷺ) كثيراً من الموضوعات المختلقة التي وضعها الرواة كذباً على رسول الله (ﷺ) ولذا فهم لا يطمئنون إلى هذه السنة ويريدون الاقتصار على القرآن وحده.

وهذه كلمة حق أريد بها باطل، أما أنها كلمة حق، فصحيح أن الكذابين من الرواة وضعوا أحاديث ونسبوها للنبي (ﷺ) ولكن الله عز وجل الذي تكفل بحفظ الذكر، سخر العلماء العدول المخلصين للذب عن سنة النبي (ﷺ) فعكفوا على السنة، ووقفوا بالمرصاد لأهل الأهواء والبدع، فغربلوا السنة من الزيف الذي ألحق بها، وكان من جهودهم ظهور علمي: الجرح والتعديل، ومصطلح الحديث، وبهما انفضح أمر الوضاعين الكذابين، وعُرف الحديث الصحيح من الحسن من الضعيف من المنكر. واستقر هذا الأمر منذ أكثر من ألف سنة وصدق رسول الله

(١) من حديث المقدام بن معدي كرب. رواه أبو داود بسند صحيح.

(ﷺ) إذ يقول: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[1].

وأما أنها كلمة يراد بها باطل، فلأن هؤلاء يعلمون جيداً أن الأحاديث قد غُربلت وعُرف صحيحها من سقيمها وهذا مثبت ومسجل في كتب مطبوعة في متناول أيدي الناس جميعاً، وقد استقر الأمر، وظهرت الشروح، وكُتِبَ الفقه على هذا الأساس، فدعواهم الآن باطل يريدون له الانتشار والهيمنة، لا لشيء إلا لهدم الإسلام، لأنهم إذا أقنعوا الناس ببطلان السنة، أو شككوا فيها وأنصت الناس لهم واستمعوا واقتنعوا، تركوا السنة ولم يعد لها وزن في الشريعة مدعين الاعتماد على القرآن وحده، فإذا ما استقر الأمر على ذلك عجزوا عن فهم القرآن، لاعتمادهم عليه وحده بعد أن أسقطوا السنة، فكيف سيعرفون كيفية الصلاة، أو مقادير الزكاة، أو المناسك... إلخ، عندها يطعنون في القرآن نفسه، ويقولون: هذا كتاب لا يُفْهم، ومعنى ذلك أنه ليس من عند رب العالمين. فيهدمون الإسلام بركنيه، بدأوا بالسنة وثنوا بالقرآن فماذا بقي لنا

(١) وهو مرسل، ولكنه روي موصولاً من طريق جماعة من الصحابة (مشكاة المصابيح جـ١ ص ٨٢)

بعدهما من تشريعات نعتمد عليها. ولقد تنبأ الرسول (ﷺ) بأمر هؤلاء وحذر منهم إذ يقول: «لا أُلفينَّ أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[1].

ويجب عليك بعد ذلك، أن تعرفي أمر هؤلاء فتحذريهم، وتحذري منهم، وتدافعي عن سنة نبيك (ﷺ)، ثم تعرفي أن السنة ملزمة لك، وعليك اتباعها وهذا أمر الله عز وجل، فالله تعالى يقول: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله، إن الله شديد العقاب**﴾ [الحشر/٧] ويقول: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون**﴾ [النور/٥٦].

والتزامك بالسنة يقتضي منك معرفة الصحيح منها، وقد تعمدتُ في كتابي السابق «المسلمة العصرية.. إلى أين؟» إغفال درجة الحديث حتى لا أشغلك بها، كما أن الهدف كان بعث العاطفة الإيمانية عندك، حتى ترجعي إلى الله، وهذا الهدف كان من الممكن ضياعه لو أدخلتك في الجانب العلمي لدرجة الأحاديث، فتركت هذا الأمر ولم أذكره إلا في القليل النادر، مع حرصي على ألا أستشهد لك إلا

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي وإسناده صحيح. وقال الترمذي: حسن صحيح.

بالأحاديث الصحيحة، أو الحسنة. وتركت الضعيفة.

أما الآن، وقد هداك الله، وبدأتْ قدمك تثبت على الطريق، أخذتُ أذكر لك درجة الأحاديث حتى تعرفي هذا الفن، وتطمئن نفسك إلى ما أوردت من أحاديث كشواهد وأدلة على ما أقول. وعليك بعد ذلك ـ إن كان في مقدورك ـ دراسة شيءٍ من هذا العلم حتى تأخذي السنة من نبعها الصافي.

وعلاقتك بالسنة أعني بها التزامك وتطبيقك، ويكون هذا بعدة أمور منها:

أ ـ التنقيب عن أصل العادات والعرف الذي كنتِ قائمة عليه، أو عليه غالبية الناس، ثم رد هذا العرف وهذه العادات إلى الإسلام، فما كان له أصل في الشرع أبقيناه مطمئنين إلى سنيته، وما لم يكن له أصل بحثنا عنه، فإن كان لا يتعارض مع نص من نصوص القرآن أو صحيح السنة أبقيناه على اعتبار أنه نتاج تطور حضاري للناس. أما إن كان يتعارض معهما تركناه وضربنا به عرض الحائط، لأن السنة أولى بالاتباع، وكما قيل: ما أحيا الناس بدعة إلا أماتوا سنة مكانها.

ب ـ التأسي برسول الله (ﷺ) في كل ما تستطيعين،

مع ملاحظة سيرة الصالحات من الرعيل الأول للاقتداء بهن، لا سيما أمهات المؤمنين (رضي الله عنهن)، والصحابيات الجليلات.

جـ - سرعة تنفيذ ما ثبت لك من السنة بسند صحيح، وعدم التواني أو التسويف، وقد ذكرتُ لك طرفاً من حياة الرعيل الأول في سرعة الالتزام في الكتاب السابق فارجعي إليه إن شئتِ.

د - الدعوة إلى هيمنة سنة الرسول (ﷺ) على جميع جوانب الحياة، بالتزامك أنت أولاً، ثم بحض الأخريات على ذلك، فتكوني بذلك ممن قال رسول الله (ﷺ) فيهم: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»[1] وإن لم يستجيبوا؛ كنت ممن عناهم الرسول (ﷺ) بقوله: «لا يزال من أمتي أمةٌ قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» [متفق عليه].

(١) من حديث أبي هريرة في صحيح مسلم.